

مضر حمكو

مرايا الموت و القيامة

شعر



ألف ياء
Alf Yoo

مرايا الموت والقيامة

المؤلف: مضر حمكو الكتاب: مرايا الموت والقيامة (شعر)

صدرت النسخة الرقمية: حزيران/ يونيو 2025

- الإصدار الأول للكتاب هو الإصدار الإلكتروني

- الناشر: «ألف ياء AlfYaa»
- الموقع الإلكتروني: www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ «ألف ياء AlfYaa»
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
- «ألف ياء AlfYaa» ناشرة للكتاب فقط وهي غير مسؤولة عن محتوى الكتاب



-
- تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداود

مضر حمكو

مرايا الموت والقيامة

شعر

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

المحتويات

7	تقديم
11	معراج ماريو فارغاس يوسا
15	مات العصفور
19	مات الغراب
23	موت الممثل
27	ماتت الغيمة
31	في معارج الموت
65	شغب
71	مَنْ؟
77	سبق
83	تقوى الخراب
87	هباء
91	أنا
95	فضيلة الوردة
99	حجارة لجدران الأمل
103	رائحة الحقيقة
107	الفراغ
111	أساطير البلاد
115	أحلام
125	تجلي الطريق
129	صافر النار

تقديم

طالب الداود

يقدم ديوان "مرايا الموت والقيامة" للشاعر مضر حمكو رؤيةً شعريةً وجوديةً تتجاوز الشكل التقليدي للقصيدة، لتصير تأملاً في معاني الحياة والموت والهوية واللغة. الديوان ليس مجرد نصوص، بل رحلة في أعماق الذات عبر مرآة الموت بوصفه انكشافاً، والقيامة كوعدٍ جمالي غير ديني.

رؤية الموت:

يحتل الموت مركز النصوص، لكنه لا يُصوّر كنهاية، بل كتحررٍ من الجسد والمادة، وعبورٍ إلى "ضفة أخرى". في قصيدة "معراج ماريو فارغاس يوسا"، يصبح الموت "ممرّاً سرياً للمعنى"، حيث يترك الجسد ويحرر الروح. وفي "مات العصفور"، يتحول الموت إلى استعارةٍ للتحرر من قيود التأويل، وكشفٍ لهشاشة الوجود البشري: "مؤقتون إلى حد اللعنة".

اللغة بين السجن والتمرد:

يُظهر الديوان توتراً جوهرياً بين اللغة والمعنى. حمكو يشكك في قدرة الكلمات على إمساك الحقيقة،

ويراها سجوناً: "علّمتني الكلمات فبنيت سجوناً شاهقة
لوحشتي في الأبدية". يتجلى هذا النقد في هجاءٍ لاذع
للغة بوصفها أداةً وهمية، كما في قصيدة "سبق" حيث
تُصوّر كـ "دماء سالت في عروقنا"، تحوّلنا إلى عبيدٍ
لـ "دين الكلمات". في المقابل، ترمز الوردية في "فضيلة
الوردية" إلى خلاصٍ صامتٍ لا يحتاج خطاباً: "الوردية
لا تدعي خطاباً... هي صورة السعادة بلا حاجةٍ لكانط
أو ابن عربي".

تشظي الهوية والوجود:

تتشكل الهوية في الديوان كعمليةٍ متغيرةٍ لا جوهر
ثابت. في قصيدة "أنا"، يصف الذات بأنها "كائن على
حواف النار"، بينما تسأل "أساطير البلاد": "ماذا أقول
للبلاد إذا سفت الرمال عن جوع الهوية؟". الصراع مع
العدم والفراغ يتجسد في "الفراغ": "يد تبحث عني في
الفراغ تجد الركام"، وفي "هباء": "أنا الغريب على
طينها، وهي الغريبة في طيني". الهوية هنا أثّر مشئت
تحمله الذاكرة، لا سرداً متماسكاً.

الزمن والجسد:

يُصوّر الزمن كعدوٍ عنيفٍ في قصيدة "سبق": "أيهذا
الوقت أسرع من يقتلنا"، بينما يُظهر الجسد كعبءٍ هَشٍ
يعكس شتات الذات. في "موت الممثل"، لا يصلح

الجسد "للكلام مع الكون"، وفي "هباء" يتشظى بين العناصر، مؤكداً اغتراب الإنسان عن أصله.

الرموز الدينية والأسطورية:

يعيد **حمكو** تشكيل الرموز التراثية في سياق وجودي. هابيل وقابيل يظهران في "مات الغراب" كوجهين للذات: "اسمي هابيل التراب، قابيل النار"، رمزاً للصراع الداخلي. أما آدم فيتجسد في "هباء" كعلامة على الضياع: "منذ أن سافر بي الماء... لم أعد".

الموضوعات المتداخلة:

يتجاوز الديوان الموتَ ليمسك بتشابك الوجود والعدم، الحب والوحدة، الثورة والعبودية. الطبيعة (نار، ماء، تراب) تتحول إلى رموزٍ للخلق والدمار. رغم هيمنة العدم، تبرز إشراقاتٌ عاطفيةٌ كما في "أحلام"، حيث يصير الموت "صديقاً"، والحب قوةً كونيةً توحد الأضداد: "هناك تحملني على أصابع الحب... أنى ثقفتني السماء".

في قصائد مثل "شغب" و"تقوى الخراب"، يقدم الديوان نقداً للأنساق السلطوية عبر تفكيك معنى الطاعة، وتصوير الذات ككائنٍ متمردٍ على النسق: "ذات خاب رجاؤها في النسق".

في التقييم الفني يمكن أن نشير إلى العناصر التالية:

- عمق فلسفيّ وشعريّ في طرح الأسئلة الوجودية.
- جرأة في تفكيك اللغة والهوية والرموز المقدسة.
- صورٌ شعريّةٌ مبتكرةٌ
- تكرارٌ في موضوعات الموت والعدم وتجربة روحية.
- تركيب مفرطٌ في الصور والتعبيرات البلاغية يتطلب قراءةً متأنيةً.

"مرايا الموت والقيامة" نصٌ جريءٌ يرسم خريطةً للهاوية ببهاء العتمة. رغم إغراقه في التساؤل الفلسفي وغموضه، يظل تجربةً شعريّةً وروحيّةً تستدعي القارئ إلى رحلةٍ في دهاليز الذات واللغة. الديوان وثيقةٌ وجوديةٌ تُقرأ ببطء، كمرآةٍ تعكس أسئلتنا الكبرى: "ها أنت تعبر الحواف وتنقل الأسئلة في حقائب الروح إلى ضفةٍ أخرى".

معراج ماريو فارغاس يوسا

رحل ماريو فارغاس يوسا وها أنا أودع
حليفاً آخر في الوجود..

قرع عويل الوقت في أجراسي وعبر الحواف
لينام خارج الوقت..

لن أطرق باب بيته في النص فأدخل بورع
المتلهف فخ الغواية..

لن أقارع شخوصه على حق المعنى في
تقرير المصير.

لم يكن لي حظ المقامر من النرد فالتقيه على
قارعة الحياة، حينها اكتفيت بغبطة الشرير في
استراق السمع على عويله في النص،
والتقطت ثماره على الأرصفة.

كيف يذهب الآن والزمن في الراوية يموت
من الجوع؟

ترك أيتامه في النص ورحل،

فمن سيغير مصائر الشخوص؟ ومن يكتب
المال يا ماريو؟

من سيعين الآن في البحث عن ممر سري
للمعنى..

وأي معنى أيها المسافر؟

هل تعبتي من ارتطامنا الفادح بالوجود؟
هل تركتي للتاريخ ما يسد به الرمق أو للحياة
ما يقيها من البرد؟
لم نكن نعرف بعضنا في العلن.
لكننا كنا نتواطأ في البحث عن قلادة سقطت
في البحر،
نتعاهد على فتح أبواب النص كي يخرج من
يشاء من الشخص،
ونردم كل السجون.
كنت قد قلت أنك ستُخرج المارد إلى النزهة
بعد اختفاء طويل.
هنيئاً للغياب وأنت تفتح بابه بيديك وتمضي
للتريض بعيداً عن أعين المتلصصين.
هل ستحفر بئر الزمن من جديد وتسقي
أشجاراً جديدة للذاكرة؟
هل ستنام طويلاً هذه المرة على غير عادتك؟
ها أنت بعد ومضة العمر تترك جسدك
للحريق. لم تعد تحتاجه في أسفارك الجديدة.
لماذا اخترت لجسدك النار؟ أهى كراهة
التجسد من جعلك تفعل؟
هل كنت تحب النار إلى هذا الحد؟

أم هو الاعتراف المتأخر بالخطيئة الذي
أوجب التطهر بالحريق؟

يا له من رحيل وثني الجمال، تَجَسَّدُ عارمٌ
وعالٍ، ثم في المحطة الأخيرة،

تترك الجسد للعالم وتذهب مفرداً بالروح.

ها أنت تعبر الحواف وتنقل الأسئلة في حقائب
الروح إلى ضفة أخرى.

هل تقول أن العالم خطيئة سرديّة،

وعليك أن تبني معراجاً جديدة للخروج؟

وأنت تغير الجهات هل تعد بخطة جديدة
للسرد؟

هل فكرت أن جيشك في الكتب قد يتبعك إلى
باب الغياب؟

حسنًا يا ماريو

سأدعك الآن تنام وغداً عليك أن تنسى العالم
وتفكر في الكون من جديد.

مات العصفور

مات العصفور الذي أسميته نغم،
مات كما العصافير.
لا قصة تكفن الرحيل،
لا تؤويه سرديّة أو هوية،
لا رتوش تزين الغياب.
مضى وحيداً وبعيداً
إلى آخر الرحيل،
حيث الشوق يغوي العدم بالوجود.
عاد إلى أول التكوين
حين ضاعت الأشياء
في لذة الكون،
إلى النهاية حيث لا قصص تروى عن الأنبياء
أو الشهداء.
مات العصفور الذي أسميته نغم،
وبقيت الأقفاص وحيدة تغني:
لحزن العصافير،
لحزن أشجار شيعت رقاده الأخير،
هناك حيث انهمار البدد بالنشيد.

أيهذا النغمُ الرماذُ الغائمُ الغائبُ في الكونِ
ها نحن اللاشيء الرقيقُ الرقيقُ أعلى غيابنا،
ها هو العدم يطلق سراح أرواحنا
من كل السجون.
هناك سنتحرر من الحرية،
من الأحلام والرؤى،
من ظلال الأغاني في أرواحنا،
من أرواحنا،
من الكلمات من الحب من الموت من العدم.
مات العصفور الذي أسميته نغم.
مات بلا لغة تتوسط موته،
بلا طقوس،
لا ظلال لموته.
مات كالבسطاء الأولياء.
مات حراً من التأويل.
مات كالعصافير،
وبكيت عليه حراً
كما العصافير،
بلا كلمات؛

تكفني،
تؤويني،
تقتلني.
بكيت جميعاً.
بكيت سعيداً.
بكيت وحيداً.
بكيت عارياً كالإنسان.

مات الغراب

منشورات «آلف ياء» AlfYaa

مات الغراب العراف وحشة الغريب
غريقاً في الحكاية.
أشار إليّ أن أدفن جثتي في السحاب،
أتبدد في رؤى البحر،
لربما سقيت عطشاً أَلَمَّ بالظبية
أو العشب
أو الدُّناب.
مات العراف خطيئتي.
مات صديقي الغراب،
لا نبأ سيأتي من التراب.
عليّ أن أتعلم كيف أعود مهزوماً
من الحرب،
خائباً كرمية نرد فاشلة
أو رصاصة أخطأت القلب.
عليّ أن أتعلم
كما يقول العراف؛
حذاء الريح،
كيف أهش القطيع بصفائر خيبيتي،

أحفر على مهل
في كل الجهات
مجرى الغياب.
أو ربما أوصي الشمس
التي لم أحسن تربيتها
أن تخطئ المغيب.
المعاول التي صنعتها من الورق
أن ترדם فوالق الجبال.
لعل في الدروب الأخيرة،
يرن عالياً
صدى صوت السائرين.
لعل الفضاء يعلق الصدى أجراساً
في الشرايين.
لعلي أربط خطى الرحيل على الموانئ
حيث تنام جثتي سعيدة
أو أقطع الحبال بسيف الحنين.

موت الممثل

لا يصلح الجسد للكلام مع الكون.
صغيرة هذه الذات على الوجود،
قليلة هي لتربي الحياة على الحياة،
صغيرة هي الخشبة على المسرح،
والمسرح صغير على الصراخ.
في موته الجليل صرخ الممثل:
أوبي أيتها الأشياء.

لما كُلُّ هذا العويل؟

لماذا لا يغير الليل جلده؟

لِمَ يضحك بلون أسود؟

لماذا تنبش الذات لحمها؟

لماذا تضيع الدروب؟

قالت الأغوار:

الشمس سهيل الضوء في الغواية

لكن الذات ثقوب.

الموت فواصل بين الأنهار

هكذا بشرت الحياة.

مات الممثل من النشيد

وغدا نكمل مراسم الحداد.
ربما نهض الممثل باكراً،
ربما ذهب باكراً أيضاً،
لم يكمل تعلم دروس الغبطة،
لم يتقن تعاليم الوردية.
في الحلم كان يبكي أشياء حبيبته
التي لم يرها ابداً.
خربش على وريد العالم لوحة
أكملتها بعده الفصول.
لفرط ما أحصى أيائل الوجود،
أختار أن يكون رقماً في تقويم الفضاء،
وذهب للنوم باكراً،
بكل ما للسديم من ذهب
في الحلم كان يعوي كذرة،
رأى إلى نفسه كيف صار ذبابة تمص الهباء.
الطريق إلى الأبد طويل.
عليك الآن أن تنام
قال له العالم ونام.

ماتت الغيمة

تعدو الآن في السماء،
الغيمة ال رسمها طفل
على يده،
تسابق غيمات أخريات،
لا تفكر الآن في المطر،
لكنها تركض بكل ما أوتيت من خوف؛
بأقدام من ماء،
وحزن من ماء،
وروح من ماء.
تركض بلا توقف،
لا تعرف الأشكال،
لا تعرف الوجوه،
لا تعرف الجهات،
كل ما تعرفه الغيمة طفلاً،
يوماً،
طارت من يده نحو السماء،
وتعرف تلك الأصابع جيداً.

بعد ماء ومدى،
ماتت الغيمة وهي تعدو،
لكنها ما زالت تركض
على أهذاب السماء،
وفي حلمها أصابع تبللت بالرصاص.
أيذاك الطفل في يده ممحاة،
يريد محو كل الوجوه،
دبيب الأشياء على أصابعه،
على قلبه،
على روحه.
لو انه محا الأيام،
لو أنه مسح المدى،
ما كان للبئر أن يعود،
ما كان له أن يسقط عميقاً،
ما كان للطفل أن يرسم غيمة
أن ضاع.

في معارج الموت

0

في كل مرة يكشف لنا الموت كم أن وجودنا
هش إلى حد الفضيحة،

وكم أن العالم هو صنيع الذهن إلى حد الوهم،
وكم أننا مؤقتون إلى حد اللعنة.

ففي كل فَعْدٍ نكتشف كم نحن عراة.
يقول جاك دريدا:

"في كل مرة يموت شخص فإنه لا يموت
وحده بل إن عالما بأكمله يرحل معه."

* * *

1

لطالما كنت أتساءل إن كانت اللغة شكلاً
وحيداً للكينونة! اللغة غول يبتلع كل أشكال
وجودنا ويهبطنا شكلاً من طمأنينة مؤقتة للنفس
عبر الكلمات لكنه أقل بكثير من غبطة فراغ،
تدعي رؤية ما للحياة.. إنه الفراغ المدهش
للحقيقة.

من أين للعقل البشري كل الطغيان الذي يفخخ
الكينونة بكل عراء اللغة؟

ومتى سيكون بمكنتنا أن نعيش الحياة بوصفها
قصة شوق عاشها الوعي المطلق، كيف لنا
أن نحيا الوجود بوصفه قصيدة؟

* * *

في الحقيقة بت منذ زمن لا أعرف من أنا
 (من نحن) يبدو أننا لم نستطع أن نكون -
 نصير - نتشكل خارج الزمن (خارج الذاكرة)
 أرى فيما أرى أن الأنا التي بحوزتنا ما هي
 غير تنويعات على أشكال الذاكرة التي هي
 ليست غير الزمن المبلل دائماً بالماضي، لماذا
 لا نلتقي بأنفسنا عبر العالم إلا بعودة ما إلى
 الوراء؟ لماذا تختفي كل الجهات ويبقى
 الوراء؟ هل الوراء هو كل ما بحوزتنا من
 معنى، من سلطة لا سبيل منها إلى الفكاك؟
 كل الأشياء تسألنا أن تموت ولكن لا قبل لنا
 أن ندعها تمضي إلى شكلها الأخير - الغياب
 شكل وجودها الأخير .

كل ما نسميه الأنا نبت من زمن الذاكرة، جاء
 من هناك، كل ما جاء من هناك جاء باكياً، إنه
 الهوى الحزين للذاكرة التي لا تتعرف إلى
 ذاتها إلا بكاءً، كأنه المقدس الوحيد الذي لنا،
 نحن الذين لا قبل لنا أن ندخل العالم إلا
 والبكاء عين أنفسنا، كيف للفراغ أن يكون لحم
 هويتنا فنصير عند التقاء أنفسنا لحم العالم؟

كيف لنا بزمان يجعل من الفراغ لحمه السعيد،
يجعل من الفرح لحمه الخاص؟

* * *

3

ماذا يوجد أول الكينونة؟
ماذا يوجد في آخرها؟
آخر لغز حللته قال أنت في حل من المتاهة،
اذهب للنوم باكراً على حربة المعنى،
أول أسرارك أنك الدخان في آخر نفق الحياة.
كل أفلاك المدى من وحي المتاهة.
لا شيء يعرفك حتى أنت،
كأن العالم لم يكن يوماً لحملك،
كأن المدى لم يكن يوماً خطاك،
أو نثار دماك.
لكن مَنْ يتأول الدم في عروق الياسمين
أو الغبار على زجاج الهوية؟
أيهذا الكائن السكين،
لا أنت لست هنا
ولم تكن يوماً.

* * *

ذات غمر خفيف ولدتُ من أجمل رئات
العالم، إنه رحم الجميلة الطيبة شقيقة
الأغاني... أمي.

لم ينتظرني حينها شاعر الحي كي يرفع على
مسمعي أذان البداية كأول الموسيقى أو يُلقمني
ذهب القصيدة.

ربما كان أبي قد فعل ذلك في صلاته فوق
الغيم وهو يردد على مسمع الليل أناشيد
القيامة.

جميل وبهي هو ذلك الشيخ الصامت الذي لا
يحد بحر صمته سوى الصمت.

لست أدري لماذا كان عليّ أن ألج العالم
أشعث القلب حافي الروح.

لعلها الحياة الواهبة الكينونة قصاصة عطر،
أو شغف الصدفة العتيق بترتيب الفوضى
وتأمين شيء من القوت لمعنى يجوب العالم
حافي القدمين.

وربما كأن شأن الله الداخلي حين اشتاق إلى
ذاته.

يا الله الحياة الصدفة ما أكبر شكري إنني في

الوجود، على كل الصخور التي وضعتها في
طريق سيزيف إلى الحب، على كل ما
أعطيتني من بذخ السجون.

يا الذي علّمتني كل الأسماء إن السجون
كلمات فقل لي أي سجون أحب إليك؟

أهو غيابي في حضوري أم عدمي في
وجودي أم ضروري على باب حرיתי أم
صيرورتي إلى ما أكون أم نهايتي على باب
الحياة أم بدايتي في السؤال عن غيابك أم
موتي عن النفس أم عودتي إلى التراب أم
شوقي إليك...؟

في البدء كان كل شيء وكل الأشياء غمر من
كلمات.

لا بدء عندك ولا انتهاء.. هذا ما وعدت به
الكلمات لك حينما بدأت يا رب انتهيت.

علّمتني الكلمات فبنيت سجونا شاهقة لوحشتي
في الأبدية، وكلما صادف وجودي في
الطريق إليك الريح تعالت أسوار الأبجدية.

شكراً على ما وهبتني من خيال كي تستمر في
العدو خيول العبودية.

كل الأشياء متاريس ولا جسور على الهاوية،
فمتى يا خيول الكلمات الوصول؟

وأنا أفكر في صيد العالم صادتني الكلمات،

أردت الوجود مُعرِّفاً بكل أدوات التعريف
فصرت النكرة في اللغة والغبار في الوجود
والسديم في المعنى.

أيهذا السجن الجليل في اللغة، تطاير العالم من
حولي وصارت الأشياء الشظايا، سقط حصان
الحمداني بي وصرت داخل القلاع أبعد عن
نفسي فأبعد.

حتى الله حين بنيته على مجهول نفسي صار
سجناً متعالياً وكم صار في عليائه أبعد.

* * *

5

ألّا نريد القبض على العالم فيما أبعد من
الظواهر، أطلقنا وحوش اللغة في براري
الأشياء؟

هل ظننا الما بعد وعلاً نسطاده بمقلع
الميتافيزيقا وأن الميتافيزيقا هي لحن الفيزياء
على أوتار اللغة، أو احتفال الكيمياء البهيج
بضيافة حواسنا؟

هل جال في خاطرنا أن الطريق إلى اللانهائي
هو في كل مرة مسافة خلف المسافة وأن
جيانا باتت منهكة الصهيل؟

في كل مرة - حين أودّعني - أسأل نفسي:

كيف لك أن تقيس هذه الأبعاد؟

حينها يسقط الصوت من سمائي بكل ما
للطيور من التغاير أو بكل ما أوتيت من بهاء
الهاوية.

كيف لهذا الذي لا يقاس أن يقاس؟

ربما ببهاء العتمة وربما - فقط - بكل ما
للكون من الدهشة.

حينما لا تعود المسافة مجرد وجهة، حينما لا
تكون شكلاً لمزاج الأمكنة، حينما لا تعود

مجرد شكل للرجاء بأن تخفض الهاوية
حصتنا من الفزع.

ما هي الحقيقة الآن بتوقيت أنفسنا؟
النفس تخطأ المكان الذي عليها أن تلتقي به
نفسها.

ربما لأنها ترى الأمكنة شكلاً وحيداً لأن تهبط
من سماء التجريد، هنا فقط يمكنها أن تلاقي
نفسها على ما كسبت من أرض في شهيق
محايد.

هل تعرف النفس أزمانها خارج ما اقترفت؟
أين ترفرف أنفسنا الآن؟ وهل لها من أن أو
عدد؟

هذه النفس المتورطة بذاتها إلى حد كل
اللعنات، كيف لها أن تخلع التواريخ وتلبس
الفراغ جسداً مفتوحاً على اللانهائي كآخر ما
عليها أن ترتكب؟

هل الجمال غير وقوع النفس على ما ليس لها
من بوح الحقيقة؟ هل غير وقوع النفس على
نفسها في كوكب محايد؟

حينها سيكون الآن هو كل ما لها من الزمن،
حينها يمكن لها أن تغسل يديها من ماضٍ
يقترفها كإثم.

ما وقع هو كل الذي لنا من الآثام منذ رحيل
الحقيقة إلى الما وراء.
حينها يمكن لها - كحدوث العالم -
أن تحدث.

* * *

6

رَحَلَ العصفور الذي علمني كفاف كينونتي
من الغناء.

مهلاً أيتها الأغاني،

أنا لست بوردة تُربي المدى على العطر
ويفوح الوجود.

ما أنا بشجرة تأنس رفقة الريح،
لكني أصدق العاصفة.

ما آمنت يوماً بماء التفاصيل،
إنما أصدق الغرق.

كلما هممت بالبحر شدتني الموانئ،
وعادني عويل الشراع.

لا أصدق أن لي عيناً ترى
بل أصدّق الضوء،

وشوق الله إليّ.

لا أصدق نفسي المبللة بالشمع،
لكني أصدق الحريق

وكل الذئاب ال تنام في حجري،
أخاف عليها من الظباء.

هل أنت يا رب سعيدٌ بقدر ما أنت وحدك؟
وأنا وحدي
أعددت ما يكفي من الأسرة
كي ينام البشر في نفسي.
نام الغزاة،
نام الصعاليك،
نامت عاد وثمود،
نامت الضواري،
نام الأنبياء والقتلة،
لكنني على ضفة روعي بقيت وحدي.
لم يكفِ رغيف اللذة يومي كي أذهب
بدداً،
لم يكفِ ما قاله العرافون كي يولد العالم،
ولن يكفي كي أشتعل كما يليق بنجم.
لي يقين بألم الولادة
لكن دمي لم يكن نبیذاً
كي تسكر الحياة
وتبات الأبدية طارف الروح.
لا بذور في اليباب

كي يحط طائر الحكمة على كتفي.
قلت سأمسك سر الأشياء في يدي
لكن الطائر لم يأتِ.
ماذا تريد التواريخ من نفسها؟
ماذا تريد مني؟
أريد سكن الفراغ،
لكنها تسرق وجهي في كل مرة،
تسكنني،
تملؤني.
دعيني أنام!
لا أريد نقاطاً على حروفي،
كل الأشياء حروفي.
لن أصدق الجسد ال آوى إلي،
يا سريراً أعدته كي يرتاح الأبد من عناء
رحلتي.
لا أصدق سحاباً جرح شامة السماء ولم
يمطر،
بل أصدق اليباب.
من منا مر في حلم الآخر؟
قولي أيتها الأشياء:

أين هو دم المعنى يا لحم الكلمات؟
أين فراغ الأبد؟

* * *

يشاجرني وجدي إليّ،
 فأشاجر العصافير والغيم،
 الأشجار المبتلة بالصمت،
 الوديان ذات الشهيق السحيق،
 رجع الغبار في صدري لما زال طفلاً،
 كل الرجال الذين شتلوا ظلي في الهباء،
 كل النساء اللواتي أحببني،
 أبي الذي اختار سمائي كي يغيب،
 إخوتي الذين صدّقوا الموت ورحلوا،
 أصدقائي القائلين إنهم عائدون
 هذه المرة من طين يسمونه النار،
 لكن أحداً لم يعد ولا حتى أنا.
 ليس بيني وبينك سوى المتاهة الفاخرة،
 أقيسها بعد نبض الريح
 بالزوال القادم قبل الشمس
 بعد الليل،
 بكل خصلة شعر أجرها من عجين الروح،

بكل رحيق القمر.
ما هي إلا متاهة جميلة،
طفلة عتيقة بهية كأجمل حوريات المصير.
قل لي الآن يا رب أين هو الجسر؟
* * *

8

لا قلب لي يأخذني إلى البحر
وأبتدد في أحوال الماء.
يقول إنني حين أتيت لم يكن الماء جهات،
يكفي أن تكون عشباً في خاطر موجة،
أو موتاً على خصر جنية،
يكفي أن تكون حصة
أو حجراً تدلى على مهل من السماء.
أنت لست الماء ليحبك الشاطئ،
أو ولدت من غيمة ليحبك البحر.
يكفي أن تكون رمل الطريق،
تطالعك الأقدام تدهسك بنشوة،
وتذهب عابرة كما جاءت إليك،
لكن ربما تعثرت فيك حورية ماء،
ربما غنتك مرة لحبيبيها،
وصرت من بعدها صُدفة،
أو صَدفة،
أو ابناً من أبناء الحريق.

أنا ابن قلبي وابن قلب أُمي
حديثة الغياب
عتيقة الحب.
تَمَطَّرُ إذا مرت لأنها السحاب.
هل بعد البحر بحر؟
كل شيء صار يا أُمي بعد؛
أنا بعد أناي،
أنت صرت بعدك،
الله بعد الله صار أبعد،
والطرائد صار لها بعد،
وصار بعدها أكثر خوفاً وانتظار.
فهل للحب يا أُمي بعد؟
هل نحن يا أُمي بعد الحياة؟
* * *

9

لم أتمرن جيداً على الفرح هذا العمر.
ربما في عمر آخر،
ستخطئني أفيال الحزن،
ربما سأولد من خاصرة الشمس هذه المرة
أو فمها أو يديها،
ربما أكون أول وليد يأتي إلى العالم
من جهة الضوء لا من جهة التراب،
ربما كانت عيوني نجوماً تكفي الوجود،
ربما كانت جوارحي أقماراً أو ما يلد الضوء
من الأزهار،
ربما لن يعرف قلبي حينها
سوى الحب.

* * *

10

نامت على حبال صوتها الأجراس،
تلك التي لم تأوي إلى قلبي مرة.
أجراس الله الأخير السائس جياذ الروح
كيف لها أن تنام جائعة وفي القلب آخر
رغيف نبت من عويل الأنبياء.
من أين للحياة كل هذه الأطراس
كي تكتب تاريخ غبطتنا؟
من أين لها كل هذا الوغف؟
نحن الحفاة العراة المشاة على خزف أرواحنا،
نتعثر بظل دهشتنا كلما سقط منا القمر.
في أي ساعة ستذهب الحياة إلى نزهتها
الطويلة؟
هل سنكون في حلمها
إذا نامت؟
سأذهب وحيداً إذن.
ربما كنت في شغافها
وأخطأني بريد الملاك.

ربما كنت ما بعدها
وحيئنذ أراني هناك.
انتظريني في اللا مكان.
انتظريني في كل مكان.
* * *

11

ما زالت هنا آخر سنبله خبأها الحصاد.
ما زالت حبات المطر
تحب لعبة السقوط.
قطيع من ظباء الليل
يحرس الشوق إلى الوجود.
سرب يمام النهار
يجول في خاطر الكون.
ما زالت وردة تسافر إلى مدن النحل البعيدة.
كذلك العصفور هنا
ما زال يشرب مطر الكينونة،
ما زال يخرب عش الهوية،
ما زال يواصل أغنية بدأها عند أول الوجود.
كذلك أنا ما زلت هنا.
ماذا أفعل هنا؟

* * *

12

تعالى نضيع معاً.
ما من فراغ يتسع لنا.
آخر الليل نفتح باب الضوء،
نصعد سلم الريح،
وتصعد الأكوان،
بكل ما في قلوبنا من فرع،
نغني آخر الأغاني.
قلت أنني المدى البعيد
قلت على يدي ينبت الغمام
وتعلو الأناشيد.
أجيبُ أنكِ آخر شهقة تعبر إلى الله،
أو الشمس،
أو تكفي الأكوان لنضيع.
لا تنخسف أيهذا الكون!
بل ترامى بعيداً إلى النسيان،
ترامى كي تتسع ولادتي.
لا أفق يلدني سوى قلبها؛

عارياً من الخطايا،
عارياً من التوبة،
عارياً من الموت،
عارياً من الخلق،
لا تأويني الكتب،
لا تأويني التفاسير التأويل.
ما أوجع الولادة خارج طينها.
ما أوجع الكون لو هب من جهة
غير عطرها.
ما أوجع الروح.

* * *

13

انتظريني أيتها الأوطان في كل مكان،
في الأعالي عند أبواب القيامة،
عند قمم الجبال،
عند كل الأشجار،
في امتداد النرجس وحقول الزعفران.
انتظريني على ظهر غيمة،
أو على جناح الطير،
في هدأة الريح،
في جنونها،
في ملح البحار،
في الموانئ،
في كل المدائن ال ضيعها الصمت.
انتظريني على ضفاف الأنهار،
حتى أفرغ من لهو طفولتي،
من أطياف أبي ووصايا أمي،
من ضحكات أخوتي وبكائهم،
شجاري مع الأقران،

حفيف حذائي المقطوع،
لهات البراري في وقتي،
ثغاء قطيع الخراف في النفس.
من يقتل ذاكرتي؟
بأي ناي في الروح أحصي ألم الكواكب؟
على أي نجم ستجد الكواكب آثار خطاي؟
انتظريني أيتها الأوطان لو جئت طائعا،
أو جارحا أو جريحا،
أو عاتبا أو عاشقا،
أو نادما أو ضائعا،
أو جائعا وميتا من الحنين.
انتظريني كي أغمد آخر السكاكين،
حتى لو تأخرت عن غسل الجرح بمسافة
عمر.

* * *

14

أنا الكائن على حواف النار؛
لن أشرب لبن الملائكة،
لن أسال الله عن اسمه،
سأكون لطيفاً مع حارس الجحيم،
أحكي له الرقصة الأولى للحب،
وأوصيه خيراً بزهر الحديقة،
لن أدعو أحداً إلى حفل قيامتي
سوى الموتى،
أو الطوفان،
أو حورية المدى تغني البلاد،
ال ينام فجرها على خصر جنية،
لن أنادي على الموتى بأسمائهم
لقد ناموا اليوم خارج قبورهم،
بكل ما في الرحيل من الصفصاف،
بكل ما في النايات من ذهب الغروب،
لا أسماء تأوي إليهم
أو تدرّ عليهم لبن الوقت،

يكفي ما دار من فراشهم حول نار الروح.
لن أسمى نفسي أيضاً
يكفي ما لي من آدم العدم.
لاسمي نصيب من الماء السارح في الغيم،
وملامح أخي السائب في كواكب بعيدة،
أنسياً يشرب القهوة مع أول من يستيقظ من
الموتى،
وينقر قمح البلابل،
يحاول قتل أول أسماءه من صفات الذئاب
فيسقط قتيلاً من اللفة،
عدمياً له رغائب الحصى الـ تحفظ حجارة
الكواكب أسرار قلبها.
هل لعب إخوتي مع ظلي هناك؟
هل سلّت حبيباتي شعورهن من الروح؟
هل نمّن جيداً على شفير هاويتي؟
هل عثرن على اسمي؟
لا أسماء تكفي لنفسي؛
اسمي هابيل التراب،
قابيل النار،
أنا الفهد في إثر فرائسه الموت،

وغراب يواري المعنى الثرى،
أنا العداء في براري قيامتي.

* * *

15

كيف حدث أن ثقبنا الفضاء وانهمرنا؟
سالت في عروقنا دماء الكلمات
ودخلنا دين اللغة أفواج اليباب.
لسنا نعرف متى وأين أو كيف حملتنا الظنون
في أسفارها.
خيل إلينا أن بعض الظن جسرٌ وها قد وصلنا.
هكذا سالت في عروقنا دماء الكلمات،
وهكذا هو العالم ... ألد موائد الهباء.
ما أعظم الفخ
ما أبهى السقوط.
أُيْهَذي الكلمات المعاجم تكتب أسماء موتنا،
كما تشتهي اللغة أن تشير إلى غببتها،
هكذا نكون.
تجلى العالم ثم سقط
قتيلاً وجميلاً وسعيداً وبعيداً.
في ما آوت من أسفارنا المحطات
سقط العالم - كما نبتغي- حراً سعيداً
وسقطنا.

ما أبهى السقوط!
يا لغة أوزارنا الكفوة؛
لا أسئلة للحياة بل إجابات،
لا أسئلة إلا ما طَعَنَ الريح.
من كنا حين تلاقى في اللغة الأجساد؟
من سنكون لو نجونا من فخ الكلمات؟
لم يمد التجريد لنا حبل نجاته
وساب في المدار صدى الأمنيات.

شغب

تشاغب الوجود كنقطة حطت على أول سطره
ربما،

أو على آخر جوعه.

ما أول ما كان من الأصوات؟

ما أول ناي غنى لأدم؟

ما كان من أمر الطين إذ زوج الغيم
من الغيم،

ونسي التراب،

ولعبة النار في يد الكواكب؟

أول الموسيقى همجي كان اسمه الرعد؟

إنك الحب يا أول الأصوات.

هكذا آمن الغريب،

بل السأم قالت المدينة،

وهي تسكن جوع الوقت بالخواطر،

ترشو غيمة عابرة بحصة من ذهب السماء،

أو أزرق فتننها.

لعلها تأتي الآن إلى نرف شهى،

ملء روحها كأ مطار القيامة.

لها أن تفشي أي سر تشاء،
لها أن تشمل حد الصحو من الارتجاف،
لا تدري أي لون لليقين في رخامها،
تلهو بتغيير وجهة الريح،
تستبدل أحذية الشوارع،
تخترع غرباء بلا أسماء،
تحذف النقطة من الحرف،
تشدد السكون،
وتمط الكون إلى آخر اللامعنى.
كلما طعنها انتظار،
نبت من ضلعها طريق طويل
إلى ليل طويل.
توصي الأشجار أن تدّر لبن الحنين،
تومئ للغريب أن أشرب ما طاب لك
من العطش.
أول الأصوات الضجر،
ربما
يأتي أليفا كذئب،
نقيا كسراب،

متعاليا كس خام.
وللمدينة ويلها الرسام؛
يحفر ملامح الغادين على نوافير المساء.
ربما تُغني بعد قليل في مديح الغياب؛
بضعة أقمار،
لطمأنينة العصافير،
وسلام الأشجار.
ليس كل ما يفوح من القلب حب.
قالت المدينة في آخر العواء:
عليك السلام أيهذا الليل الذئب الغراب ال نبح
سوءتي،
وعلى قلبي السلام الوردة الكفن،
والشيء المعروف بلا،
والهوى الحزين في وجه النحات الصنم.
هلمّ أيهذا النبي الحجر!
ردّ الغريب: أنا الصنم الفاتن نفسي،
لي نصف وجه من ثمار النار،
لربما شابته الحقيقة في الدخان،
أو شابته إلهاً مشطوبا من التقويم.
كلما انتصف التأمل انطفأت كالثقاب.

أنى ثقفتني الريح أطفأتني.
لربما كنت شبيهه السحابة
فلي عينان في آخر نفق السماء؛
عين تصافح الهاوية،
وأخرى تحلب البحر.
أحب من الموسيقى سفي الرمال؛
هذه يدي تعزف زوبعة،
وهذه تجرح الغبار،
ما أروع هذا اللحن الأنا
إذ ضيعني.
لكأنما الأبد وتد
يشد حبال الهاوية إلى عشب رؤاي.
أيهذا السؤال مطرقتي،
والعصف المدى رفيقي،
فعاليا عاليا
دقّ أيّها السقوط مسامير شهقتي.
عالياً عالياً
اقرعي أيتها المزامير أبواب دماي.

مَنْ؟

ليس بنار لكن أوله الحريق،
ليس بنار لكن آخره الرماد.
يأتيك قاتلا يتوارى،
نرجسيا فظا غليظ القلب،
طفلا يظن القمر توأم يديه.
يأتيك موتا يحب الحياة،
ميت يفكر في الجنازة،
يحزن لنسيانه الظل على رصيف الطفولة.
يأتيك من مكان ما
لا تقاس أبعاده إلا بالعويل،
ربما في وقت ما
مكان ما.

كنتما توأمين وافترقتما كالأصدقاء أو الأعداء.
ليس بعطر لكنه كل روائح الروح،
ليس بفجر لكنه يخيط الليل بالنهار،
ليس بفكرة لكنه التأويل خفيف الظل،
إنه ما قيل أنه الشعر.
أشعث لكنه جميل،

لا شأن للحضارة في تهذيبه حين يغني،
يمشي على رمشه الفراش،
يسقط خنجرا من السماء،
يغرس رمحا في المدى،
ينزع مسمارا من الوريد،
يجرح أبعد مكان في الروح،
هو الأم أذ تحب،
هو الطبيعة إذ يعطيك قوسا من قزح النزيف،
مطمئناً كالقتيل،
غارقا في السلام،
كبرميل بارود،
لا يرتدي الحرير لكنه ناعما،
كسرة التأنيث الساكنة.
ليس نبيذا،
لكنه يثمل الليل
حتى آخر قطرة من بياض قدميه،
إنه ما قيل أنه الشعر.
يأتيك حينما تكون لائقاً كالجمر،
أكثر هرما من الكون،

يمنحك الحياة،
يهديك للموت،
يشتبه في أنك الحوت،
يبشرك بالعنبر في آخر البحر
أنه ما قيل أنه؟
يأتيك بما يظن أنه الرؤى،
يظن أنها الآن تسير في الغابة وحيدة.
لو كنت هناك لسرقت الطريق
كي نضيع.
يشربنا الشوق عن آخر الثمالات،
ما زال لعينيها تواليف آباد
تزرع الكواكب تحت جلدي.
لا ماء غير ماء الشمس يروي الخطايا في
ترابي.
أي أثم هذا الذي يرتوي بالضوء سواك
لو هشتت الذباب عن عسل الموتى
لانشق الليل أنهارا وسالت منك ضفافا من
دخان.
أنت من قال الشعر أنك
وقال أنني

وظن أننا نسيل من حلمه،
نهطل شمعا،
نعلو اشتعالا،
نهبط رسلا على شعب من المكفوفين،
وظن أن لا أحلام لنا غير ما يرى،
يرى إليّ أقول أين عشائي من المعنى.
يرى إليها تقول ألقمتك ثدي الكلام
لكناك لا تصغي.
يرى إليّ أقول جائع.
يرى إليها تقول لك مآذب الضوء
كي تنام قرير الحلم.
اشتبه في أن الشعر هو الحب.
كيف وجسدي عربة المشلول في السباق إلى
الذرى؟
كيف والروح اشتياق عال الصهيل؟
وأساءل كلما فاض شوق الشعر بي
ما الحب؟
من هذا الذي أنا؟
من أحب؟
أحب جسدا تنتشاه الكيمياء أنثى؟

أصوتا أدعوه السحر؟
أأحب أناي في المديح؟
أم رفيقا في المعراج إلى الله؟
من هذا ال يدعى أنا؟
أألم من بنات نومها؟
أم من بنات موتي جاء بي الحلم؟
قلي أيهذا الشعر!

سبق

الذين في برزخ ما بين بيت الطين واليقين
ربيتهم.

الذين من شموع المعابد نحت تماثيلهم.

الذين سقيتهم دنان التفاسير

أقداح الرموز في المذابح.

الذين في قصعة الوجدان تعمّدوا.

الذين سرقوا أجنحتي حين طاروا إلى القمم.

الذين أطعمتهم أكباد الحقيقة

كانوا الآلهة مراسيل الوقت.

الذين أوقدت قناديلهم من خيال العنقاء.

في تواصيف الرماد كان اسمها الذهب.

لم يجدلوا الظفائر للجنان

لكنهم قرعوا طبول الهباء.

أيهذا الوقت أسرع من يقتلنا

أسرع من يقتل نفسه.

أيهذا الوقت أكثرنا اشتياقا للرحيل

أقلنا أكثرنا بهويّة إبليس.

كيف تلحم دماء المعجزات؟

أيهذا الوقت السهم المنكسر في القلب،
الجبل ال ينهدّ من الندى،
الكسيح يعنّ من نسيان
رجليه في فراغ القذيفة،
الإعصار ال يهبّ من الخوف،
الحريق يشبّ من اللعنة،
المقامر الذي يلعن النرد،
سكّير يشتم المارّة بنظرات نابية،
يكره كالكراهية،
هو الواهن المحب لأول مرة،
ممحاة الله تمسح خطانا من اللوح القديم،
سردية تجبّ ما قبلها،
تجبّ ما بعدها، سيّاف الأساطير
ينأى كأنما المفارق المخدول،
يتأنى في الحوار مع الندماء،
يشرب الأنخاب لا من فضة الأمل،
ولا من ذهب اليأس،
يتشظى من الضحك،
يتلظى من الغواية،

يتلطّى كأنّما السارق تفاحة آدم،
هو الفهد الهارب من الملحمة
يдахهم كالجند وسن الفقراء،
يوارب كالخديعة،
يغافل يندفع يهرع ينقضّ يندلع يهرب مذعوراً
حتى من غزل الحمام.
قيل: أنه أول من فتح باب القيامة،
آخر من سدّ جوع الجحيم.
وقيل: أنه بعرج في القلب طاف حول الخلود،
دقّ في أصغر مسامير الروح
كل حيّطان العالم.
كيف دخلت الحيّطان في المسمار؟
ما أمكر عصافير الوقت تأكلنا
حين تجوع أحشاء الأبد.
ها أنا في أبعد ملاحم الغبار
أبحث لحم الوقت،
أجدني مسفوحاً على أنيابه،
غير أنني أشفق عليه،
أقطعه كل لحمي.

هو شببيه النار من نواحي الأبد،
هو قريني إلى حدود الجوع،
لا قبور تأوي مراثيه،
لا جهات تلثم خطاياها،
ولا عافت الشوارد عظامه
تجري إلى مستقر لها.
لا أعرف إن كان قاتلاً
يهرب من قتلاه،
يدهس الكون،
يعضّ بأضراس اللهاث على رجليه،
أم يريد اللحاق بموعد الحب،
لكنني أدري أنه يبلعني.
لوهم في أنني الرفيق بالأسرار
يتبعني،
نغفو تحت لغز ما،
تحت شباك مهجور،
ينزفني من أحداق التيه،
لا خاطراً من النشيج،
لا دماً،

لا ضياء،
بل رعد يتقرّى الباقي من التعب.
أترانا أوار الصنوج؟
نتصاعد أيهذا الوقت
من دفوف المدّاحين رنين موتنا،
يا أنت عاشق الأبدية،
عشيقها،
نيرون حرائقها،
هل يفسر ما وهبتنا من آمال إبليس
جوع الضواري؟
يا شبهة الخوف في عرق خيولي
كم أنك شبيهي في العَدُو.
أبعد من الضوء
وأسرع عرجاً؛
أحدنا إلى الحب، والآخر نحو الأبد.
من منّا سيصل إلى خط النهاية؟
أراك أيهذا الوقت تقول:
لا أحد سيصل.

تقوى الخراب

الأغوار تاريخنا السائل إلى الخراب، تاريخ
وهمنا أننا الذات التي تحكم العالم - الموضوع
الذي يعني امتهانه أن نتنفس هواء الأعالى،
في أعلى قمة من جبل الحرية.

بعد أن يهدأ هدير الوقت قليلاً، نكتشف أننا
حشرات ضخمة تدب على الكوكب لبعض
الوقت، ثم يلسعنا اللانهايي بإبر الوقت ليقول:
توقفوا فالعبة انتهت.

لا فرق نكتشفه ما بين الحقيقة والخيال، بين
الحلم واليقظة، بين الصحو والإغماء. ما
أعظم المسرح وما أطول العرض بل ما
اقصر قامة الحلم وما أسرع مركبة الحياة في
الفضاء الخارجي للوهم..

يقف الممثل على الخشبة مدى الحياة ثم ينام
من فرط العواء في سرير شائك أو وثير
للأبد.

ما بين الأنا المغلق على هلام الذات والعالم-
الموضوع ثمة ذات خاب رجاؤها في النسق
وتبالت أصواتها بالنايات وبدلاً من الغناء
نامت بومة منيرفا في الظلام..

خارج كل الأنساق ثمَّ فلسفة لمرح الذات
وخارج التاريخ ثمَّ لا تاريخ، ها هنا في
اللاتاريخ تغني الفلسفة للذات أغنيتها الخالدة.

التاريخ الذي ليس له تاريخ، الآن الذي يحتفي
بالعالم والوجود اللاشخصي واللائقافي حد
الرقص أو الآن الذي لا يدّعي أية هوية سوى
هوية الفراغ.

لَمْ كل هذا العويل في دروب عودتنا إلى
الأبد؟

لماذا لا يكون لهذه الذات لحم من نهار جديد،
بكل قدرة الشمس على الولادة؟

كيف صار الوجود رقماً في أثير الافتراض؟
كيف استحالت الحياة ذبابة على شاشة العالم؟
جرثومة قد تباع في مختبر وتذهب الحياة
حينها في إجازة أبدية.

لي حريتي في أن أكون مع إخوتي العبيد
يقول كل في نفسه، لي حريتي في أن أكون
نفسي، لي حرية الانكسار.

ماذا يعني أن يشعر المرء بالانكسار؟

ماذا يحدث في شعاب أنفسنا كي تبعث لنا من
غور قصي أو حتى من ركح أنفسنا رقصة
البطريق برسالة تفيد بأن مذبحة ما قد وقعت

لكبريائنا في منطقة مأهولة بالساكين
أغوارنا؟

ثم يقول قائل: دع العالم يحدث. دع العالم لا
يحدث يقول صوت من غور آخر.

ما الذي ينكسر فينا حقاً، من نحن بهذه
الأجساد الخائبة، ومن نحن بغير أجساد
مفجوعة بالروح؟

من نحن وقت الحياة تفضح هذا الأنا المرصع
بتقوى الخراب؟

من نحن بكل ما لدينا من وباء العقل وما خلا
بعض العقل فكله وباء؟

هل على من سكن الأغوار أن يبحث عن
وطن جديد كي نستريح من أعباء الرحلة؟

لا أحد في الكون - غيرنا - يريد للرحلة أن
تنتهي ولا تنتهي.

هباء

لا يعرف التراب أنني ما له من الأحاجي
لا ولا الماء.

لا يجيد الغيم أن يفك أضرار كينونتي.

لا يجيد أن يفتح المصاريع

كي تدخل السماء

ولو قليلا،

كي تخرج الأشياء

ولو قليلاً.

لا يعرف الصلصال أنني حظه

من كل شيء.

لست بماء،

ولا أنا التراب،

أنا الصلصال في كل شيء،

أنا الشبيه لكل شيء،

منذ أن سافر بي الماء

لم أعد،

منذ أن سافر بي التراب

لم أعد،

ولا تعرفني الأشياء،
أنا الغريب على طينها،
وهي الغريبة في طيني.
لا يعرف الحجر أنني أخاه
في الهباء.
لا تعرف الرمال أنني الشقيق للسراب.
لا تعرف نفسي أنني جرحها من الزجاج.
لا تعرف حبيبتي متى أوبتي
إلى طينها،
إلى جرحها،
إلى ارتعاش الماء والتراب.
لا تعرف حبيبتي أنني أسافر كل آن
في الأشياء ولا أعود.
لا تعرف حبيبتي أنني آويت إليها
ولن أعود.

أنا

أهذا البرعم الصغير في أصص العالم
يكون أنا؟

أهذا التراب ال نمت فيه الفصول
يكون أنا؟

وهذا النسغ ال أطعم وحشة الكائن
أيكون أنا؟

ليس من عادة العطر أن يكون أنا،
ولا أسماء الزهر تشابه اسمي،
ربما كان أكثر ثقلأ من الفوح
وأخف من جبل.

هذا الغياب

طفل يبتني الوجود

كرجل الثلج،

ويفكر في النار.

أول خاطر لاح للنار

كان أنا.

أيهذا الكائن من الجمر

دع العالم يقع.

دعه يسقط من دخاني.
يد تمتد أعلى من الشمس
هي يدي،
تعتصر حليبا من الشوك،
لا ثمار تساقط
ولا أكاليل،
لا أجراس ترن
ولا تأويل.
متعال هو النشيد
أكثر من سياف
وأعلى من الريح.
متعال هو النشيج
أكثر من دوي الهزيمة
وأعلى من بوق القيامة.
هذا أنا

يصعد بي الحلم إلى كواكبها،
يصعد رنين أجراسها في رحلتي.
أن تاقت بي المحطات
تجدني في كل الجهات

أسافر مفقوداً.
لا ولادة ولا موت،
فزع من احتمال النرد،
تارة لعنة الثمار
وتارة غبطة الملاك .
هذا هو أنا
بي شوق إليها
كشوق الدروب للتائهين
كصائد الحقيقة ال يمشي على السحاب
كارتجاف الشمس في الضباب
أيهذا ال ضاع في مدائن الغبار.

فضيلة الوردة

رائع أن يكون العالم باقة هائلة من الظواهر المدهشة، ورائع أن أكون أحد جهال الوجود رغم ادعاءات عقلي قدرة فائقة على تفسيره وتصنيفه وكشف علل وجوده أو قوانين نشأته وما سوى ذلك من مصادرات العقل النظريّ، كذبة رائعة حاكها العقل في أول نيسانه، مدهش أن يكون العالم سراب، دفق متواصل، إرهاب لولادة مستمرة ولا مواليد غير طوفان الظواهر، وكان عليّ دوماً أن أدخلها معبدي، أعمدها بأسماء سعيدة وحزينة لتلقى رواجاً في سوق المفاهيم.

لم يكن للوردة لغة ولا قواميس ولا كلمات، هي لا تدعي خطاباً ولا تدخل الوجود في أدغال تسميها مفاهيم، هي تظهر أن روح العالم الشذى وأن الوجود محض عبير.

كم يغار عقلي من الورد لكنها عشق روحي، هي مفاتيحي لمغاليق الوجود، أظن أن الوردة سعيدة فلها السلام وعليها السلام أنها وردة، هي لم ترتطم بأي وجود، لم تتورط بأي كيان ولم تفكر بأي قانون أخلاقي يطابق المقدس، لا رجاء لديها يوجعها ولا تنتظر أي شيء من أحد، تولد وتموت بكل صمت أو عطر.

هي لا تعي سوى أن الضرورة هي سفر في العطر، أن الولادة عطر والوجود عطر والرحيل عطر، أن الضرورة عطر وأعلى مراتب الحرية هو الفوح.

أغار من حرية الورد حتى حينما تسقط لا تموت بل ترحل فقط، لا تفكر بالسلطة أو البقاء أو حتى الخلود.

أغار من فضيلة الورد فهي المشرع الأعظم، التوسط السعيد بين القانون وروحه، ليست بحاجة للتفكير في السعادة والرجاء والأمل إذ هي صورة ذلك.

لا تحتاج إلى مصادرات كانط ولا جود الوجود الزائد عن فيض خالق محي الدين بن عربي.

لا تفكر في وصل الود بين عقل ابن رشد وأصل الشريعة، كما أنها لا تحتاج مُثْلَ أفلاطون المتعالية ولا تتساءل إن كان العالم حادث أو قديم.

لا يعنيه إن كان نيتشه قد ألقى نفسه في النار، إن كان يليق بالإنسان أن يكون وجوده الحق والأعلى على أعلى قمة للخطر.

هي تأبه لوجودي لأنها من كرم الفضيلة وجود الوجود بحيث أنها لا تميز نفسها عني،

هي لا تعرف غير أن تحب بعطر.

أنا لا أعرف ما الفضيلة وما القانون
الأخلاقي، اعرف فقط كيف أشغل العالم
بأسئلتني، ما أنا سوى فضيلة العقل النظري
المسجون في المادة والظواهر والتجربة ولا
قَبْل لي بغير المحسوس، ولن أكون خارج
النسق وخارج أكذوبة العالم.

العالم حقل إعدام شاسع للأشياء والظواهر إنه
عالمي الذي صنعت، من الكلمات، أنا ميت
كهذي القواميس مذ صنعت اللغة عالمي
المسحور وبدأ العالم مشواره كظاهرة
ما أبدع هذه الكذبة!

وَمُتْ، أروع الشيء في ذاته حين يكون وحده
رجاؤنا في البلوغ إلى المقدس الأخير.

حجارة لجدران الأمل

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

من فرجة في القلب أطلع السماء،
لا شيء تغير في طباعها؛
زرقة البحر،
لون الرماد،
مزاج متقلب،
حقائب مملوءة بالفراغ،
أشواك تحك أقدام الأمل.
لا شيء تغير
غير أنها تبتعد،
صدى أصوات المسافرين موتا،
الشهوة الوحشية للأشياء،
قاتل يتوق للتعالي،
يلتف بإزار القصيدة،
يخفق في حمل الهاوية.
لا شيء تغير في ألوانها
غير لون الانتظار،
للحاملين الموانئ إلى بحار أخيرة،
للبراري السعيدة في خيال البحار،

للمشاة على رؤوس أصابع أرواحهم
على الحواف،
أو في مدى الغبار،
الوصايا أضلت طريقها،
للعبور على جسر مكسور،
للرجاء في فاكهة الغيب،
وذلك الأمل كجرح عتيق،
في مثل براءة الطفل،
فاحش كالمعنى،
أبيض كاللعة،
طري كلحم البداية،
شاسع كاللانهائي،
كالحب.

لا شيء تغير؛
أبواب تظل مقفلة،
أقفال يعلوها الصدى،
مفاتيح في غيابة البحر،
سكاكين تتلم الطريق،
حجارة تفج اليأس،

حجارة لجدران الأمل،
قصيدة لا أروي غليلها،
حكاية تشبه الحريق
هي السماء.

رائحة الحقيقة

ماذا لو كان العالم روائح
كقوافل المطر؟
وأنت تفكر يفوح منك ريحان الفكرة
لتسأل:
ما رائحة الحقيقة؟
تقول لا شيء غير الأبدى في الحب
الذي لا يقاس بغير الصمت
وزخات السكون.
ما رائحة الكينونة؟
انثيال القلق البهيج،
شكل من احتمال الريح
لرقص الشجر،
أن تتأبط العاصفة،
ترجم نفسك بنجم بعيد،
تصنع لحبيبة لا تعرف أين هي
شالاً من القمر،
أن تكون أو لا تكون
هي ذي الروح،

أن لا تأتي العالم إلا من جهة الهاوية،
تهوي كنجم بكل ما فيك من الخطر.
تسأل:

من سرق رائحة حبيبتي؟
أترى لو أهدى الرائحة للشمس
هل يحتاج الكون حينها لعينيه؟
أيهذا العالم الكائن من الشذى
أي عبق يفوح من الحرية؟
لا شيء غير أنك حر
من حزن الجاذبية،
من نفسك،
من الجمر في لذة التفاح،
من اللعنة،
من الأعلي،
من الأعماق،
من الوديان،
من الجسد المطعون بالروائح،
من الذاكرة،
جريان النهر،

.....

.....

.....

إلى الأبد أو أبعد،
وأنت بكامل الريحان
حر من رائحتك.

الفراغ

يد تبحث عني في الفراغ
تجد الفراغ.

يد تبحث عن الفراغ
تجد الركام.

أين العالم؟
بملء حلمه

يمد يده ويبحث عني.
بحار يطوف الوقت
بكل قلبه،

ملء جفونه،

بكل الصهيل،

وآلاء الصلصال.

يكبو

ينهض

يعلو

عائداً يمد يده ويبحث عني،

بكل ما يجري في عروق الرمال،

وحيدا

خائفاً

فيه جوع

وفيه شوق،

ينتظر الشروق

على باب الشفق،

يمد يده لكل شيء،

لا يعرف أين يذهب،

وحيدا مثلي

وفيه كل ملامحي،

وأنا الغائب

لا يجدني

إلا قتيلاً ابحت عنه،

خلف كل الأشياء

فراغ يفر

يذهب ولا يعود.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

أساطير البلاد

أنا النائي شبيه البرد،
أنا الناي كلیم القصب،
ماذا أقول للربيع؟
إن غابت أنباء العصافير؟
من يتلو اعتذار الحجارة
عن الندى؟
أي فأس شقق عن قلب التراب؟
أيعرف الغبار؟
هل يعتذر الشوك عن الزهر؟
أم الورد عن العطر؟
ماذا أقول عن نفسي؟
أقول شال الخرز
لف خصر جنیة؟
يا بحر ماذا؟
أيشتهي الموج أن يغني لهوریة؟
لیس عندي للضوء ما أقول
عن الشمس
غیر أسر اللیل

في وضح الجرح،
كأنما الحصى
يرمي العالم بالكينونة.
بقلب يعيد رصف الأساطير
حجر على حجر،
يبحث عن وجه طفل يلد الآن،
ربما كان أنا
أو القمر.
أيهذا القلق ثروتي من ذهب الوجود،
لعنتي من الماء،
شقيق البلاد أنا.
ماذا أقول للبلاد
إذا سفت الرمال
عن جوع الهوية؟
في سوق نهاية الأسبوع
أبيع نفسي للأساطير
كي أشتري البلاد.
هل أبيع البلاد
لأشتري الرحيل؟

هي شقيقتي في الجرح،
نتقاسم سيفاً يطعننا بالفرح
بالحرية
بالجوع
بالحلم.
تهياً أمانا العشاء
ما يكفي المستحيل
من الحليب والحب،
لا نفكر في الهوية
بل نتعلم خفة الوجود
ونطير مع العصافير.

أحلام

1

أنا شقيق الماء
أسيل على أهذاب الموت،
كأنني الدمع أهدق في عينيه،
لا كضحية تودع قاتلها،
بل كحبيبين شغوفين بالصمت
أو الصوت
أو صديقين حميمين
يتبادلان هموم الحياة.
أيهذا الموت
لماذا كل هذا الشغف بالنهايات؟
أتبكي لأنك تحيا بموتي؟
قال: لا تجزع
فالعالم يبدأ
وأنا حلمك الطويل
كأنما للتو بدأ اللهب.
لا أعرف إن كان الذي في غيم
أم أنه الجرح،

سيف شطر الضباب؛
عالمين،
قارتين،
سديمين وعلمين مختلفين،
واحد ألف به النزيف،
وآخر يشبه مرور السحاب.
* * *

2

مشى الحلم حافياً على الغيم.
تقدح رؤاي الشرر
فاشتعل.

أيهذا الماء
في هشيم الجسد
كن رفيقاً بالنار
إذا حان اللهب.

هل هبطت السماء من الغبطة
لتنام الآن في الشغاف؟
أم صعدت إلى الغيم
في رؤى الماء؟

أو تنام يا حلم
وبك يقظة البحر؟
لك شوقه في أن يكون النار
ولي الغرق.

بكل شوق السفائن إلى الشيطان
ألود بالليل

وأخاف الشفق.
في الحلم تكلمت إلى النار
من يكتب انبهار الليل بالنار؟
ومن في هذه الساعات يكتبني
أيهذا النهار؟

* * *

3

لو أني وهبتُ عينيَّ للهباء
وأعطيته قلبي
هل يرى ما يرى الأعمى
على سفوح الدخان؟
من بصائر شَيِّعتني إلى آخر التراب
أيفوح أكثر من سوسنة تغني
ويشدو أكثر من ناي في سكره؟
يَطير مع الفراش،
يَتَلَبَّسُ كُحل الأجنحة،
مجنوناً يُحسّ أنه العطرُ،
رذاذ تجره الروح على السراط،
أول الماء،
هل يرى إلى الشمس تُشرق مني؟
وهناك في ليل بعيد،
بين أصابعي
تمر أقمار إلى عوالمها وتغيب.
هل يرى أني أجّرت نفسي للكواكب

كي تسرع في الرحيل
نحو بلاد حلمها الماء
وسماء يمرح بها إله أخير؟
هناك اعدو في أنفاس الشمس
وأدعو السحاب ليتدفأ بين يدي،
يسير على هدي دمي.
لا أشواك في لحم المدينة،
لا أرقام تسفح هوية الغيم
أو شاشة يتدلى منها الوجود،
هناك تحملني على أصابع الحب
أنى ثقفتي السماء.

* * *

4

الرايات ال خفقت على صليب الروح،
تلك رايات المشتّيين عبور الحواف
الآيبين في عويل الشهب
مع أجراس المغيب
إلى الهاوية،
الذين نذرت لهم من فلوات
لممت طواريفها
عددت ذرات الغبار على دروبها،
التأويل في ليل أسفارهم
كانت عظامي ال وهبتها طواحين الرياح،
كانوا هنا في وضح السراب،
كانوا الملح الواضح اليقين
في الجرح،
الفاضح عيون الليل،
القناديل المعلقة على ضفائر المشتّهي،
كانوا سيل اللهب على سفوح الحريق،
في الرؤى كانوا التواء الدخان،

والخطى ال سالت في المآب
كانت ديبب الروح.

تجلي الطريق

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

في الطريق إليك كنت أتعرف إلى نفسي
المتكثرة، عرفت منها أشياء و الكثير مما لم
أعرف، سأواصل مطاردته ولن أجده - ربما
أبداً.

في الطريق إليك كنت أذهب إلى لقائي بنفسي
في محطاتك.

أخفق دائماً بنزع سم الذاكرة من القلب
وكذلك ورودها ولا أخفي سعادتي بهذا
الإخفاق.

كنت قد استفتيت قلبك من أين يأتي كل هذا
الحزن، أين هي تلك البئر؟

من أي صحاري العمر تسفي كل هذي
الرمال؟

لا بأس يا صديقي، سنحاول الفرح حتى
بحزننا ولعل ذلك ثوب من الجنون جديد.

حظيت بخفة الكائن معك ونحن نحتفي
بشراكة الوجود، كانت لحظة من برق، لكنها
مع ذلك أكثر الزمن حقيقة، لأنها الوجود من
القلب.

لو تدري عن العصافير التي حطت على

الشغاف، و إنك لتدري شوق العصافير حين
تتكثر فيها المنافي.

أن تعيد تعريف الحب في داخلك، أن تخرجه
من الخرائط والمواقف والمواقع، ذلك ما
تدعيه الروح من الفوز العظيم، وكم أخطأت
العد وأنا أحصي إليك نفسي.

هل أحب الكون مرورنا العابر، هل كان لنا
أكثر مما يحدثه الفراش على خرائط الريح؟

ما أجمل أن تكون ذرة وتنسكب من قارورة
الغبار، خفيفاً من كل شيء حتى أنت. الأنت
التي شربت ماء نرسييس نرسييس.

من نحن يا شقيق الوجود غير ما عرفنا،
ومتى سنعرف الذي نريد؟

كلمتني عن الزمن، كلمتني عن توائم الذاكرة
وقلت لك أن مجنوناً قد شق الزمن وأودع
أسماءنا هناك.

لن أعرف لماذا أنا هنا، قلت لك على مسمع
الزمن أنني أعيش أكثر مما ينبغي، وقلت لي
هيا بنا إلى الرقص.

في الرقص عرفت أنني أحب الذرة التي
أكون، أحب الكون وأحبك.

صافر النار

آنس وحشة خطاياك
في صعودها الرفيف إلى الرماد
يا صافر النار في لذائذ اللهب
ترفق بالبرتقال العابر لون المعصية
تحفرك الآن عميقاً أزاميل الدخان
وأنت تلقي بالمعنى اليبس في الخشب
ترفق بالصهيل الصاعد إلى الله
من دمك

ما حاجة السماء إلى دمك
غير لون المغيب ؟
أي أسماءك ستهب النار
غير الحطب ؟
أي قمح صاعد من ترابك
غير ما زرع الرحيل ؟
أي تراتيل الأقحوان
في أصابع تشهق بالأغاني ؟
أي الأغاني ؟
أي وهم ؟

أي نفس لك
من آدم إلى التراب؟
أي عشب رعته الغزالة ونامت على ظلها في
روحك؟
أي تأويل روحك
أكل منه الطير؟
أي الورد ال ذبل في انتظار الملاك ؟
يا صافر النار
لا حدّ لك إن ذهبت تائهاً
لم يأت أجمل الموت بعد
فآوي إلى اللهب.